الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قال الله تعالى:

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)

(سورة لقمان)

شرح الكلمات:

{هَذَا خَلَق اللَّه} أَيْ مَخْلُوقه {فَأَرُونِي} أَخْبِرُونِي يَا أَهْل مَكَّة {مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونه} غَيْره أَيْ آلِهَتكُمْ حَتَّى أَشْرَكْتُمُوهَا بِهِ تَعَالَى وَمَا اسْتِفْهَام إنْكَار مُبْتَدَأ وَذَا بِمَعْنَى الَّذِي بِصِلَتِهِ خَبَره وَأَرُونِي مُعَلَّق عَنْ الْعَمَل وَمَا بَعْده سَدَّ مَسَدّ الْمَفْعُولَيْنِ {بَلْ} لِلِانْتِقَالِ {الظَّالِمُونَ فِي ضَلَال مُبِين}

المعنى الاجمالي :

قال تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللهِ} أي كل ما ذكر من المخلوقات في الآيات هو مخلوق لله والله وحده خالقه فأروني أيها المشركون المكذبون ماذا خلق الذين تعبدونهم من دونه من سائر المخلوقات يتحداهم بذلك. فعجزوا. وقوله تعالى {بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} أي إنهم عبدوا غير الله وكذبوا بلقاء الله لا عن علم لديهم أو شبهه كانت لهم بل الظالمون وهم المشركون في ضلال مبين فهم تائهون في أودية الضلال حيارى بجهلهم في حياتهم فدواؤهم العلم والإيمان فمتى آمنوا وعلموا لم يبق مجال لكفرهم وشركهم وعنادهم فلهذا فصّل تعالى الآيات

وعرض الأدلة والحجج عرضاً عجيباً لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا فيكملوا ويسعدوا فضلاً منه ورحمة. وهو العزيز الرحيم.

وقوله تعالى {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} خلق الجنان ومن أهَّلهم لسكناها، والجحيم ومن أعدهم للظاها، وخلق السموات وما فيها ومن فيها، والأرض وما فوقها وما تحتها، والجبال لتقيها وتحفظها، والإنسان، والدواب لتسكنها وتنعم بخيراتها وبركاتها، وأنزل من السماء ماءاً ليصلحها ويخصبها، وأمتع من فيها؛ امتحاناً لهم، واختباراً لإيمانهم «هذا» جميعه «خلقالله» {فَأَرُونِي} أيها المكذبون الضالون {مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ} تعبدونهم {مِن دُونِهِ} غيره تعالى {بَلِ الظَّالِمُونَ} الكافرون الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب، وحرمانها من الثواب.

و {هَذَا} أي: خلق العالم العلوي والسفلي، من جماد، وحيوان، وسَوْق أرزاق الخلق إليهم {خَلق اللَّهِ} وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

{فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} أي: الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم وتعبدونهم، يلزم على هذا، أن يكون لهم خلق كخلقه، ورزق كرزقه، فإن كان لهم شيء من ذلك فأرونيه، ليصح ما ادعيتم فيهم من استحقاق العبادة.

ومن المعلوم أنهم لا يقدرون أن يروه شيئا من الخلق لها، لأن جميع المذكورات، قد أقروا أنها خلق الله وحده، ولا ثَمَّ شيء يعلم غيرها، فثبت عجزهم عن إثبات شيء لها تستحق به أن تعبد.

ولكن عبادتهم إياها، عن غير علم وبصيرة، بل عن جهل وضلال، ولهذا قال: {بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} أي: جَلِيٍّ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وتركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور. والكلام هنا مُوجَّه للمكابرين وللمعاندين الجاحدين لآيات الله: {هذا} أي: ما سبق ذِكْره لكم من خَلْق السماوات بغير عمد، ومن خَلَق الجبال الرواسي والدواب وإنزال المطر وإحياء النبات. . الخ.هذا كله {خَلْقُ الله ... } فلم يدَّعِه أحد لنفسه، وليس لله فيه شريك {فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونه. .} أي: الذين اتخذتموهم شركاء مع الله، ماذا خلقوا؟

وليس لهذا السؤال إجابة عندهم، حيث لا واقع له يستدلون به، ولا حتى بالمكابرة؛ لأن الحق أبلج والباطل لجلج، لذلك لم نسمع لهم صوتاً ولم يجرؤ واحد منهم مثلاً على أن يقول آلهتنا خلقت الجبال مثلاً أو الشمس أو القمر، فلم يستطيعوا الردّ رغم كفرهم وعنادهم.

{فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذين مِن دُونِهِ. .} ولن نطلب منك خَلْقاً كخَلْق السماء والأرض والجبال، ولا إنزال المطر وإحياء الأرض بالنبات، بل اختلقوا أقلّ شيء في الموجودات التي ترونْها، وليس هناك أقل من الذباب: {إِنَّ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجتمعوا لَهُ. .} [الحج: 73] بل وأبلغ من ذلك {وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذباب شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطالب والمطلوب} [الحج: 73]

ثم يختم الحق سبحانه الآية بقوله: {بَلِ الظالمون فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ} [أي: ضلال محيط بهم من كل اتجاه، والضلال المبين المحيط لا تُرْجى معه هداية، فلن يهتدي هؤلاء، وما عليك إلا أنْ تصبر على دعوتك يا محمد حتى يُبدلك الله خيراً من هؤلاء، ويكونون لك جنوداً يؤمنون بك، وينصرون دعوتك. وقد كان.

من أهم الواجبات الموكلة إلى المسلم:

1–التفكر و التأمل في خلق الكون , لترى عظمة الخالق في خلق السماوات و الأرض.

2–من الأمور التي يجب التفكر فيها و رؤية عظمة الخالق فيها هي خلق الإنسان خلق الله سبحانه و تعالى الإنسان من نطفة و سواه في أحسن تقويم

3–التفكر في خلق البحار و المحيطات و الأنهار و ما فيها من كائنات بحرية حية منها ما توصل الإنسان إلى معرفته و منها لم تعرف بعد

4–التفكر في خلق الجبال و قوتها و صمودها و لكنها تخر خاشعة من خشية الله , و التفكر في السهول و الوديان و تكوينها و الصحارى الممتدة و تملأها عظمة الخالق في الإبداع.

5–فإذا نظرنا في هذا الإبداع الإلهي و تمعنا و تفكرنا فيه ذلك يحثنا على طاعة الله و الشعور بعظمته و ما وفر لنا من نعم كثيرة نتمكن من خلالها بالفوز برضى الله و دخول جنته بإذن الله تعالى.

الفوائد:

1– لا قصور في الأدلة والحجج الإلهية وإنما ضلال العقول بالشرك والمعاصي هو المانع من الاهتداء. والعياذ بالله تعالى.

2– كل ما تشاهدونه هو خلق الله، فأروني –أيها المشركون–: ماذا خلقت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ بل المشركون في ذهاب بيِّن عن الحق والاستقامة.

3– (هذا خَلْقُ اللَّهِ) أي هذا الذي تشاهدونه من السموات والأرض وما فيهما من الخلق– خلق الله وحده دون أن يكون له شريك في ذلك.

4– (فَأَرُونِي ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ؟) أي فأخبرونى أيها المشركون الذين تعبدون هذه الأصنام والأوثان: أىّ شيء خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه فى العبادة، حتى استحقوا به العبودية، كما استحق ذلك عليكم خالقكم وخالق هذه لأشياء التي عددتها لكم؟.

5– المقصود في هَذَه الكريمة تحدى المشركين، وإثبات أنهم في عبادتهم لغير الله، قد تجاوزوا كل حد في الجهالة والضلالة.

6–الظالمون في ضلال بين واضح، لأنهم يعبدون آلهة لا تضر ولا تنفع، ويتركون عبادة الله– تعالى– الخلاق العليم.

7–يخبرنا الله سبحانه و تعالى في هذه الأية أنه اله كل شيء و يذكر للناس في هذه الأية كيف خلق كل شيء، و أن كل شيء خلق لعبادته , و الذي ليس يصلح للعبادة غيره , و لا تجوز لغيره , و هنا يقول الله تعالى اروني أيها المشركون ما تعبدون من دوني من الأوثان و الأصنام و الألهة ماذا خلقوا من دوني حتى عبدتوها من دوني و عصيتوني .

8–ان الذين يعبدون من دون الله أوثانا و أصناما لم تخلق شيئا و ليست من الألوهة في شيء و ليست جديرة بالعبادة انما ظلموا أنفسهم و ما عبدوها الا ضلالا من أنفسهم , و هو أمر مبين : أي واضح لمن فكر فيه و تأمله و تفكر و تعقل فيه فيجد أنه ضلال و بعيد عن الهدى , و في قول أخر مبين : أي محيط بهم من كل جانب لا ترجى لهم معه هداية . كما قال سبحانه و تعالى : (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا و لو اجتمعوا له) سورة الحج .

9–إن عظمة الله لا يعلمها إلا الله جل وعلا، ولكن الله جل وعلا بين لنا ما يدل على عظمته بقدر ما تتسع له عقولنا وإلا فإن عظمة الله تعالى لا يحيط بها ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد عرفنا الله سبحانه وتعالى بعظمته في قرآنه الكريم من أجل أن نجله ونعظمه ونعبده حق عبادته.

10–إن معرفة عظمة الله جل وعلا توجب علينا أن نشكره ونذكره ونحمده ونستغفره ونكثر من ذكره وتعظيمه وتسبيحه جل وعلا قياما وقعودا وعلى جنوبنا دائما وأبدا وفي كل وقت نذكر الله جل وعلا ونداوم على ذكره سبحانه لأننا عرفنا عظمته وكبرياءه وجلاله {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} [الإسراء: من الآية 44].

11–الإنسان إذا جهل عظمة الله جل وعلا فإنه يتجرأ على ربه جل وعلا {وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً} [الفرقان: من الآية 55]، فالمشرك حينما دعا غير الله وعبد غير الله هذا لم يقدر الله حق قدره {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الزمر: من الآية 67]، ولذلك عبد غيره معه سبحانه.

12–الدليل أن هذه الأصنام والقبور التي يعبدونها أنقص من عابديها, ويتضح ذلك بثلاث نقاط:

أ– أن هذه الأصنام والقبور ميتة لا حياة فيها وأما عُبَّادها فهم أحياء.

ب– أن هذه الأصنام والقبور لا تنطق وأما عبادها فينطقون.

ج– أن هذه الأصنام والقبور ليس لها أرجل وأيدي وسمع وبصر وعبادها لهم ذلك.

13– أن من صفات آلهة المشركين كونها مخلوقة لا تخلق شيئًا –وهذا ما أشار إليه إبراهيم عليه السلام بقوله: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ, وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ثم هي ميتة لا أرواح فيها، بل هي جمادات لا تعقل، وما تدري متى تكون الساعة، فكيف يرتجي عندها ثواب وجزاء؟

14– إن الإله الذي يهب الحياة لغيره لا بد أن يكون حيًّا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وبما أن أصنام المشركين من عمل أيديهم من حجر أو خشب وغيره، فهي ميتة لا تصلح للألوهية بمجرد نظرة بسيطة وعبادها أكمل منها؛ لأن فيهم الروح والحياة والحي أكمل من الميت.

والله اعلم .....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ





تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدّها عزمي إبراهيم عزيز